دراسة الدالتونية (عمى الألوان) وأسباب ظهورها في قصص صادق هدايت ومصطفى لطفي المنفلوطي

على اصغر جوادى ايكدر/ طالب دكتوراه في جامعة خوارزمي – طهران/ إيران
د. محمد على معدلى/ جامعة آزاد الإسلامية – شيراز
مهرى فراهانى/ جامعة أبو على سينا – همدان
جمشيد رضايى/ قسم اللغة العربية/ جامعة آزاد بابل

Study of Daltonism (color blindness) and the reasons for their appearance in the stories of Sadeq Hidayat and Mustafa Lutfi Manfalouti

Ali Asghar Jawadai Ikdar / Khwarzmi University - Tehran / Iran
Dr. Mohammed Adri Moda'i / Azad Islamic University - Shiraz
Mhri Farahani / University of Abu ىسri Sina - Hamdan
Jamshid Rezaei / Department of Arabic Language / Azad Babel University
mmehditaheri20@gmail.com

Abstract:

This research seeks to address the explanation of the Daltonian school and then analyze the causes of Sadeq Hidayat and Manfalouti's inclination to this school. By following the descriptive analytical approach and based on the principles of the French school in comparative literature, we will attempt to answer the question: What is Daltonism and what are the reasons for its emergence? What are the grounds that led Sadiq Hidayat and Manfalouti to go to this school? The premise of this research is based on attention to the linguistic meaning of the word Daltonism; this school carries a kind of pessimism and black ideas and black regulations on the one hand, and attention on the other hand that the economic factors, social circumstances and family education leave their own impact on the type of each look From the writers to this school and their inclination toward it. After a thorough investigation into this subject, we will present a set of results that we have reached. The most important of these are: - Daltonism is a school of ideas and regulations. There are many extraneous factors that led to the tendency of Hidayat and Menfaluti to these types of thinking. The two assembled and felt by both of the writers and were unable to do anything to improve the situation. - The roots of the political repression and the severe restriction by the ruling authority on their communities. The political repression of power according to their belief has effectively closed the way for all reform movements. - The roots of the knowledge of each of the writers on the schools and offices of different Western and this has created a kind of disruption and dispersion and non-interference with the community and separation from society On the other hand, these offices and schools paved to create doubt and hesitation regarding many things in their minds.

Keywords: Comparative Literature, Hidayat, Manfaluti, Daltonism.

الملخص

يسعى هذا البحث إلى التطرق إلى شرح المدرسة الدالتونية ومن ثم تحليل أسباب ميل صادق هدايت والمنفلوطي إلى هذه المدرسة، وسنحاول من خلال اتباع المنهج التحليلي الوصفي وبالاستناد إلى مبادئ المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن الإجابةَ على السؤالين: ما هي الدالتونية وما هي أسباب ظهورها؟ وما هي الأسس التي أدت إلى ميل صادق هدايت والمنفلوطي إلى هذه المدرسة؟ كانت الفرضية التي قام عليها هذا البحث قائمةً على الانتباه إلى المعنى اللغوي لكلمة الدالتونية؛ فهذه المدرسة تحمل نوعاً من التشاؤم والأفكار السوداوية واللوائح السوداء في طياتها من جهة، والانتباه من جهة أخرى إلى أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والظروف والتربية العائلية تترك أثرها الخاص على نوع نظرة كل من الكاتبين إلى هذه المدرسة وميلهم نحوها. بعد التحقيق الدقيق في هذا الموضوع سنطرح مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها والتي كان أهمها: –الدالتونية مدرسة سوداوية الأفكار واللوائح وهنالك الكثير

من العوامل الدخيلة التي أدت إلى ميل كلّ من هدايت والمنفلوطي إلى هذا الطرز من التفكير؛ ومن أهمها: وجود جذور للاضطرابات الاجتماعية في المجتمعَين والتي شعر بها كلّ من الأديبين وعجزوا عن القيام بأي شيءٍ لتحسين الأوضاع. –جذور في القمع السياسي والتضييق الشديد من قِبل السلطة الحاكمة على مجتمعَيهما وقد كان القمع السياسي للسلطة وفقاً لاعتقادهما قد أغلق الطريق فعلياً أمام كل الحركات الإصلاحية. –جذور في اطلاع كلٍّ من الكاتبين على المدارس والمكاتب الغربية المختلفة وهذا ما خلق لديهم نوعاً من الاضطراب والتشتت وعدم الانسياق مع الجماعة والانفصال عن المجتمع ومن جهة أخرى فقد كانت هذه المكاتب والمدارس ممهِّدةً لخلق الشك والتردد فيما يتعلق بالكثير من الأمور في ذهنيهما.

الكلمات المفتاحية: الأدب المقارن، هدايت، المنفلوطي، الدالتونية.

المقدمة:

يسعى الأدب المقارن، كأحد أهم مؤشرات النقد، إلى دراسة ومقارنة الأعمال الأدبية والأساليب والحقب وحتى الشخصيات الأدبية. لدى هذا المؤشر الأدبي المهم العديدُ من المدارس مثل المدرسة الفرنسية والأمريكية ومدرسة أوروبا الشرقية؛ وقد جعلت المدرسة الفرنسية محطّ اهتمامها ينصبّ على دراسة علاقات التأثر والتأثير بين آداب الشعوب المختلفة، في حين وسّعت المدرسة الأمريكية نطاق بحثها ومقارنتها على وجود علاقات تشابه ومماثلة بين الأعمال الأدبية. ربما كان اختيار المجتمع المصري من بين المجتمعات العربية للدراسة المتزامنة والمقارنية بين الأعمال الأدبية لكلا الشعبين الإيراني والمصري ناجماً عن أن الظروف والأحداث التاريخية متشابهة تقريباً كما أن الاعتقادات العرفية والدينية بين الشعبين أعمق منها لدى بقية الشعوب، ومن بين هذه الدراسات، التي قلّما حظيت باهتمام الباحثين، مقارنةُ أسباب الدالتونية في أفكار وأعمال وقصص هاتين الشخصيتين البارزتين في كلا البلدين؛ أي صادق هدايت ومصطفى لطفي المنفلوطي. إن وجود عومل من قبيل: وجود الكثير من المكاتب التي تدور مواضيعها بشكل عام حول اليأس والإحباط والانهزام والخوف من المجهول؛ الانهزام مقابل المجتمع الذي نشؤوا فيه نفسه؛ وجود سلطة مستبدة وعديمة الكفاءة في حقبة زمنية ما والتي جعلت الجو العام للبلاد مشبعا بالنكبة من خلال إحداث مجموعة من التغيرات التي لا أساس لها؛ سرعة تطور الغرب اللافتة للأنظار في المجال الصناعي وبقاء دول العالم الثالث متخلفة في هذا المجال؛ ميل الشبّان إلى الغرب، وعوامل أخرى عديدة؛ كل ذلك أدى إلى جعل صادق هدايت في الأدب الفارسي الإيراني والمنفلوطي في الأدب المصري من مؤسسي هذه المدرسة كما أدى إلى خوضهم في الأدب بخلفية سياسية؛ هذه الخلفية التي لا تحمل أي لون والتي كانت انعكاساً محضاً للواقع الخالي من الألوان، وإذا ما وُجد به لون ما، حمل ذلك الإنسانَ إلى تذكّر التلفزيون الملوّن والذي كان ينال بهجة كبيرة وكان يعرض أفلاماً جميلة يعيش أناسها في المدينة الفاضلة، ولكن تلك الألوان لا ترتبط بحياتهم على الإطلاق وذلك لأن تلك الألوان مزيفة ومصنوعة وهي تزول بمجرد إطفاء التلفزيون ولا يبقى سوى بقعة سوداء على شاشة التلفزيون، وبعد إطفاء التلفزيون تماماً نفكر في الألوان، نفكر في الألوان الغائبة في حياتنا والتي يشكل مجرد الحصول عليها كوابيسَ، تلك الكوابيس التي نراها في أغلب قصص هذين الاثنين أو لنقل بعبارة أخرى أنها كانت خلفية لنوع من الاحتجاج ضد الحكم والبيئة الاجتماعية والسياسية التي نشأ فيها؛ ولكن كان هذا الميل متجذّراً فيهما لدرجة يصح فيها وصف أحدهما بسبّاح يخشى الماء والآخر بماسوشي وعدمي أُرغم في النهاية على قبول الانتحار.

خلفية البحث:

تم طرح الكثير من الدراسات، سواء أكانت رسائل أم مقالات، فيما يتعلق بهاذين الكاتبين المعروفين عالمياً؛ من بين هذه الدراسات: سابقة القصة المقارنة أول عمل للمنفلوطي، مع قصتين قصيرتين لخسرو من تأليف "أبو الحسن وجداني" والتي قورن فيها هذان العملان؛ "مقارنة وجهة نظر جلال آل أحمد مع المنفلوطي" للباحث رضا فرصتي جويباري والتي تمت فيها دراسة أغلب المواضيع القصصية لهما؛ "الدالتونية الأدبية المفروضة" للباحث علي رضا سيف الديني والتي تطرّق فيها الباحث إلى دور الدالتونية في الأدب؛ "لماذا الأبيض والأسود؟" للباحث مهدي مجردزاده والتي نشرت في مجلة البحوث الأدبية وتطرق فيها الباحث إلى جدلية اللونين الأبيض والأسود في الأدب؛ "دراسة الدالتونية وعمى الألوان في شعر عبد الوهاب البياتي" والتي نشرت في مجلة اللغة العربية

في كلية الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة طهران؛ "الدالتونية في الأدب" لغلا محسين ساعدي والتي تطرق فيها إلى تأثير هذا اللون على الأدب. لكن لم يتمَّ التطرق في أيٍّ منها إلى أسباب ميل صادق هدايت ومصطفى المنفلوطي إلى الدالتونية أو إلى الدراسة التاريخية والاجتماعية والنفسية لهما من خلال قصص هذين الكاتبين البارزين.

الدالتونية:

الدالتونية أو عمى الألوان من بين الكلمات التي دخلت إلى الساحة الأدبية في العالم المعاصر "ربما كانت الدالتونية تعني للوهلة الأولى عمى الألوان، ولكن أنواعها مختلفة فقد يرى شخص ما كلّ شيءٍ ولكن في ظلال رمادية أو يرى بعض الألوان على أنها ألوان أخرى" (فيتغنشتاين،1376:ص156) ولكن الاعتياد على الظلمة لا يعني العمى، وذلك لأن التفكيك يكون بشكلٍ أفضل في الظلام، أو بعبارة أخرى فإن نظرَنا يكون أفضل في الظلام، ولكننا لا نرى الألوان ولا نميزها "عمى الألوان يشبه الشمس التي تسطع ولكن في الوقت نفسه تظهر جهنمَ خلف هذه الرؤية، وعمى الألوان هو نتاج جهنم هذه أو لنقلْ هو جهنم نفسها؛ الرؤية المحضة، ذلك لأن جهنم هي الطريق التي أدت إلى الرؤية، لذلك فإن الشخص يستطيع أن يمضي حياته دون أن يظهر عليه عمى الألوان، وقد يظهر ذلك في ظرف معيّن وفي هذه الحال فإن قسماً من عمى الألوان المفروض يزول متأثراً بالأفكار الشخصية. عندما دخل هذا اللون إلى الأدب بمواضيعه المتنوعة كان موضِّحاً لأمور لا بدّ من الوقوف عندها والانتباه إليها، كما يجب تحليل تلك الأمور وتفكيكها، أو حلّها بطريقة ما (مقدم، 1388: ص ص88-65). إذن فالدالتونية هي في الحقيقة نوع من انتقاد الوضع الراهن، أو نوع من الاحتجاج على الزمن الحالي.

مقارنة السمات الشخصية لكلا الكاتبين:

انطلاقاً من أنّ كل أنواع المكتوبات تتم بواسطة كاتب، فإننا سنقوم بإلقاء نظرة على شخصية كل من الكاتبين. نشأ هدايت في ظل عائلة حديثة، وكانت الثقافة الغربية متأصلة في وجوده وازداد اتصاله بها من خلال تعلمه للغة الفرنسية بشكلٍ تمكّن فيه من تقبّل الجماليات الفنية الكامنة في الثقافة الغربية، لذلك فقد ابتعد عن البيئة الاجتماعية العامة في طهران، ونظر إلى أحوال إيران في نهاية العهد القاجاري بعين الغريب. كان قد رأى في مرحلة طفولته اللطم والتعازي والتضحية بالجِمال والتطبير لكنه تخلى عنها جميعاً ومع ذلك فقد بقي مقيداً بمبادئ احترام الكبار وحياء التواجد المتمرد في خرافات المظاهر غير المحبّبة، وأدى هذا الفرار من محيط العائلة والمجتمع إلى انطلاقه باتجاه تيار الثقافة الغربية. كان هدايت، يشعر بأنه نوعاً ما منفيٌّ عن إيران، وقد قرر الانتحار حين وصل الأمر به إلى حدٍّ صار البقاء في أوروبا صعباً عليه.

من جهة أخرى فإن تفكير هدايت يختلف جذرياً عن تفكير المنفلوطي، كان هدايت مفكراً يدعو دائماً إلى التفكير ليعمل الإنسان بما يتناسب مع ندائه الداخلي، وبهذه الطريقة يجد كل إنسان طريقه ولا يصبح أسير السطحية والخواء الناتج عن الانسجام مع الجماعة والجمهور، ويصنع قدوة أخرى لثقافته غير القدوة التقليدية، ويكسر التقليد والعرف من أجل تحسين حياته "بمجرد أن نفهم هذه الحقيقة وهي أننا، نحن البشر، خالقو قيمِنا، سنفهم حينها أننا أحرار ويجب أن نختار من بين علاقاتنا أرفعها قيمةً" (هدايت،1324:ص87). كان يعتقد أن القيم الجديدة يجب أن تخلق الإنسان، ولكنه خلال سعيه لاكتشاف القيم الجديدة أصيبَ بالشك، وبالانتباه إلى قصصه نجد أنه –هدايت– أديب وفيلسوف كثير الشك، فهو يشك في كل شيء ويمضي في شكه إلى حدٍّ يؤدي إلى فنائه. مثلاً في قصة ثلاث قطرت من الدماء، نجد أن الراوي قضى عاماً ونصف في السجن وكان يطلب من السجّان، طيلة هذه الفترة، أن يعطيه قلماً وورقةً ليكتب كل ما يريده، وفي النهاية عندما استجاب السجّان لرغبته كتب: (ثلاث قطرت من الدماء) ثلاث قطرت من الدماء ألا تذكّرنا بثلاث نقط؟ ثلاث نقط ألا تذكرنا بكلمة الله المقدسة؟ ألا تعبر النقط الثلاث عن الكلام الذي لم يُقل أو الذي لم يُكتب؟ ألا تعبر النقط الثلاث عن الكلام الذي لم نتجرأ على التفوه به وهو ليس بالصمت؟ ألا تعبر ثلاث قطرت من الدماء عن السنوات الضائعة من عمره في السجن؟ أليست الدماء حياةً ورمزاً يجري في شرايين الجسم؟ أليست ثلاث قطرت من الدماء هي نفسها الثلاث قطرت من الدموع التي نضحت من روح الراوي وسقطت على الورقة؟

تتواجد هذه الحالة في أكثر قصص هدايت وتتطور بشكل يجعل القارئ يصاب بالشك؛ فهل يعرف هو مفهوم الحياة؟ هل للحياة هدف؟ أم أنها عبثية غير هادفة؟ ما هو هدف الحياة؟ هذه الأسئلة التي لم يتمكن هدايت من الإجابة عليها، وهذا ما يصيب القارئ بالحيرة.

ولكن وفقاً لقول جون بول سارتر فإنه: "يجب أن يكون هدف الأدب محاولة الوصول إلى الحرية ونشر الوعي وكشف الحقيقة" (مقدسي،1378:ص234). ليس المنفلوطي كاتباً وخاصة في القصص التي كتبها بنفسه؛ فهي لا تشبه القصص كثيراً من ناحية البناء القصصي، إنها عامةً خاليةٌ من التفاصيل الفنية والأحداث المفاجئة من جهة، ومن جهة أخرى فإنه كان يكتب ليعبر عن إحساسه وباطنه وليُفرغ مشاعره، ولا تمنح كتاباته القارئ سوى متعةً آنيّةً، فالمنفلوطي ليس محللاً، بل هو يرى أوجاعاً مشتركة بين الإنسان والحيوان مثل الجوع والموت ويتحدث عنها، وحين يتكلم عن الأخلاق فإنه يقوم بتقسيم المعاملات فيستحسن بعضها ويستقبح الآخر دون أن يحللها ويتفحصها بدقة. في حين أن الكاتب يجب أن يكون مفكراً، وفناناً، وناقداً وأن يكشف الحقيقة.

يعتقد العقاد أن:" المنفلوطي متدرب خائف يفرُّ من الماء بمجرد لمسه وهو يسرد مراثيه من أجل سباح يسبح في ذلك الماء البارد" (العقاد،1996:صص169-168)

يشبه المنفلوطي الواعظ الذي يخطب في الناس ويعظهم بالنصائح والحكم ويرشدهم ولكن ليس بنظرة واقعية وإنما بنظرة سوداوية وبشكل لا يرى فيه الحياة سوى أنها لوح أسود خالٍ من أي بياض، وعندما يسألونه: لماذ تكتب كتاباتك في الليل؟ يقول: لأن مراعاة النظير تتحقق بين كتاباتي والليل الحالك السواد، إنه يمضي قُدُماً في ظلمات أفكاره إلى حدٍّ يُصاب فيه بالاكتئاب ويبدأ بذرف الدموع ويستمر كذلك حتى يصاب القارئ بالضيق.

لم تطأ قدم المنفلوطي الخارجَ من أجل بناء بلاده، وكان كثيراً ما يوصي بأنه يجب البقاء في مصر وإعمارها، وذلك لأنه كان يرى في الثقافة الغربية ثقافةً مستهجنة ولا ضوابطَ فيها ويعتقد أن هدفها هو إبادة الشرق وكان يؤكد دائماً على أنه يجب على الشعوب الشرقية أن تعود إلى ماضيها في أي شيء وأن يحفظوا شرقيتهم، وحتى إنه كان يعتقد أنه كلما اقتربت مصر من الغرب فهي تقترب من حتفها وعندها لن تحيا حتى يوم بعثها، فالغرب سيعاملها على أنها ضحية حين تستسلم له لذلك يجب اجتناب الغرب مثل اجتناب السليم للأجرب:

«إنَّ خُطوةَ واحدةَ يَخطوها المِصري إلى الغربِ، تَدني اِليه اَجَلَهُ وَتَدنيهُ مِن هَوى سَحيق، يَقبرُ فيه قَبراً لا حَياةَ لَه مِن بَعدِه اِلى يَومِ يُبعَثُون... فَخَيرٌ أن يَجتَنِبها جَهدَه، وَأن يَفِرَ مِنها فِرارِ السّليمِ مِن اَلأجَرب ». (المنفلوطي: ج2:1318)

وعلى النقيض من المنفلوطي، الذي أخذ الأمور على محمل الجد، كان هدايت يهزأ من كل شيء، حتى إنه عندما يريد أن يقدِّم نفسه يتناول هذا الموضوع بالسخرية والاستهزاء ويقول:

"هذه التفاصيل تذكرني دائماً بسوق المواشي حين يعرضون حصاناً عجوزاً للبيع ويبدؤون بعرض التفاصيل عن عمره ومحاسنه بصوتٍ عالٍ لجذب المشتري" (هدايت،1320:ص58).

أو عندما يكتب عملَيه القيّمَين "الحاج أقا/السيد الحاج" و"مدفع اللؤلؤ" فإنه يوقعهما بالاسم المستعار هادي صداقت؛ وبالطبع فقد قام هذه الكاتب الساخر بالسخرية واللعب بحروف اسمه وتوقيعه، وحتى عندما كان يخرج مع أصدقائه كان يكتب على غطاء زجاجات المشروبات الغازية حتى ولو كلمة واحدة من أسمائه المستعارة المختلفة وكان يوقع على الزجاجة؛ من غير المتوقَّع أن يكون هذا الاسم مليئاً بمعناه.

أسباب الميل إلى الدالتونية

1-أسباب نفسية شخصية

كان مصطفى فرزانة أحد المصادر المهمة في معرفة السمات الشخصية لهدايت وذلك أنه كان من أصدقائه المقرَّبين. كتب في الصفحة السابعة من كتاب معرفتي بصادق هدايت: "ذهبت يوماً إلى منزلهم وسألته: هل كان الرجل الذي رأيته في الممر هو والدك؟

قال نعم! كان يمد رأسه دائماً ليرى من سيأتي إليّ، إنه يخشى أن يأتي الزنادقة، إذا لم يسأل فاعلم أنه يعرفك، إنه يراقب دائماً من يأتي ومن يغادر. إنه لا يراقبني في الزقاق وحسب بل في كل مكان، كل ما لديَّ سلبيٌّ، أنا لست حراً لأشكِّلَ خطراً عليه، أمي أيضاً دائماً تراقبني لئلا أُحضر خادمةً جميلة إلى هذا البيت وتأخذ مكانها".

لم أسمع فقط عن لسانه خلال مقابلاته أنه كان يكره رفقة العائلة، بل إن هذا النفور ينعكس في كتاباته بأشكال مختلفة أيضاً. حتى إنه كان أحياناً يتمرد عليهم، فحين كان يسافر مع أفراد عائلته لم يكن يأكل اللحوم بذريعة أنه كان يشفق على الحيوانات وكان، خلافاً للمسلمين الذين يعتقدون أن الكلب نجس، يُظهِرُ محبته لهذا الحيوان ويصحبه معه في سفره، وكان يمدحه مقابل الناس المستبدين.

يؤكد فرزانهعلى أن أحد الأسباب التي أدت إلى جعله نباتياً إيجاد ذريعة للانفصال عن عائلته، ولهذا السبب كان يقضي معظم أوقاته مع النساء المحيطات به أكثر من أهل بيته، وكان يتعلم من النسوة اللاتي كنَّ تعملن خدماً لديهم الفرائض الدينية والآداب والرسوم والخرافات والقصص والأمثال وغير ذلك، وبالتحديد كان يتعلم لغتهنَّ وأغانيهنَّ ومصطلحاتهن وهو ما كان يحفظه في أعماق فطرته ولم ينسَه طيلة حياته وقد استفاد من ذلك في بعض قصصه فهو "يوضِح في عمله الفذّ البومة العمياء كل الشذوذ والصعوبات في العلاقات العائلية والمضائق التي علق بها، وحتى البيت الذي حدثت فيه أحداث قصة البومة العمياء هو بيت عائلته، والذي تقع خلفَه أنفاقُ طهران" (غياثى، 1387:ص143).

1-1-تأثير الحياة العائلية على شخصية هدايت:

أولاً: أدى انفصاله عن عائلته وكونه نباتياً إلى إن يلوذ إلى القصص وأن يقرأ الكثير من الكتب الأجنبية وأن يكتشف طرقها في التعبير والأحداث والتحليل النفسي.

ثانياً: عندما كان يفر من الاختلاط مع العائلة كان ينظر إلى كلامهم وتصرفاتهم بعين الغريب وبدلاً من أن ينغمس في تقاليدهم وعقائدهم وتصرفاتهم كان يرى أن كل تصرفاتهم غير عادية وكان يدخل في حالة من الحيرة وكان يمسك بقلمه ويقسم التفاصيل لدراستها، لقد كان أهل بيته يشكلون جانباً غامضاً ورمزياً بالنسبة إليه.

1-2-الرغبة في الانعزال

على الرغم من أنه كان يبدو في معظم الأوقات حميمياً ولكنه في الحقيقة لم يكن اجتماعياً وكان يميل إلى الانعزال، كان يخشى الشهرة وكان يلوم أصدقاءه الذين يثنون عليه في الصحافة ولم يكن يسمح لأحد بالتقاط صورة له حتى نهاية حياته، كما أنه لم يتزوج وظلَّ يعيش وحيداً. كتب هدايت في قصته "حي في مقبرة": "الإنسان مخلوق وحيد ألقيَ به في هذه الدنيا وهو يعيش في مكانٍ ما دون أن يفكر به أحد". وصلت رغبته في العزلة إلى درجة أراد أن يكون يموت وحيداً أيضاً، "قرأ خانلري يوماً عليه قصيدته الشعرية "العقاب" فقال هدايت: نهايتها رائعة؛ هناك حيث يرتفع العقاب ويصل إلى أوج ارتفاعه ويختفي، الإنسان فقط أحمق لأنه يجمع البقية حوله أثناء احتضاره، على عكس الحيوانات التي تموت في زاوية منعزلة، مثل الفيَلَة أو القطط، هل رأى أحدٌ ما موت قطةٍ ما؟ إطلاقاً" (بهارلوبيان 1397:66).

1-3-التفكير بالموت:

شكل الموت ثلاث أو أربع مرات صلب موضوع قصصه (جوركش،1377:ص7)، وقد ألقت روح الموت بظلها على شخصيات البومة العمياء كلها وعلى جوها كذلك، والبومة نفسها حاملة لرسالة الموت. كتب في أول مجلة جدارية له في بلجيكا بعنوان الموت ثلاث مقطوعات جميلة في مدح الموت، الموت وفقاً لرأيه هو الشيء الوحيد الذي يضع نهاية للآلام والأوجاع وهو نقطة النهاية للظلم. غالباً ما يتوجه هدايت في استغراقه الذهني إلى فكرة الموت، كان الموت في الحقيقة هاجساً بالنسبة له (اعتمادزاده،1374:ص25). وفقاً لرأيه فإن الموت هو أكثر الطرق طبيعيةً وبساطةً وهو الحل في أغلب قصصه لمواجهة مصاعب ومصائب الحياة، وأحياناً ما يُفرض على الإنسان فرضاً مثل "رواية الأخت هانم وداؤود الأحدب وأكلة لحوم البشر" وأحياناً ما يختلط بالحب ولكنه –الموت– دائماً

ينتصر في أي الصراع، مثل روايات: "حي في مقبرة؛ البومة العمياء؛ ثلاث قطرات من الدماء؛ الدوّامة؛ داش آكل؛ المرآة المكسورة؛ لاله؛ الأقنعة؛ المخلب؛ س.غ.ل.ل.؛ المرأة التي فقدت زوجها؛ الأراجوز (أو دمية خلف الستار)؛ ليالي ورامين؛ دون جوان كرج؛ المأزق؛ كاتيا؛ التجلي؛ حُجرة الظلام؛ الغد".

1-4-الرغبة بالانتحار:

جرّب هدايت تجربة فاشلة في الانتحار وأخرى ناجحة. كتب فرزانه في كتابه "معرفتي بهدايت": "كان لديه كتاب في خزانة منزله بعنوان فن الموت؛ وقد وُصفت أنواع الموت وطرق الانتحار ضمن هذا الكتاب النادر، لم يكن يسمح لأحد بأن يلمس هذا الكتاب، كان نادراً لدرجة أنه تشبث به بأسنانه"، كان يعتبر أن عمل الكتّاب والموسيقيين الذين انتحروا هو عمل رائع. "كان ولهاً بالفنانين من أمثال "واك لوغ" و"تشايكوفيسكي" و"جيرار فينيرال" الذين أنهوا حياتهم بالانتحار" (ساعدي،1384:ص76). وكذلك كانت نهاية بعض شخصيات قصصه هي الانتحار؛ مثل انتحار كنفوسيوس وبودايه وروزبهان في نهاية قصته القصيرة "الابتسامة الأخيرة"، وانتحار سوسن بغاز بيروكسيد النتروجين وماري بالهيروئين، وانتحار الكاتب في قصة "المجنون" بالترياق وسم السيانيد، وانتحار أبجي هانم في ماء المخزن. إن مشاهدة الأفلام من الواقعية الجديدة كان لها تأثير لا يخفي على إحساس هدايت باليأس والإحباط، فكل أفلام الواقعية الجديدة تعرض الحقائق المرة في حياة البشر كعواقب الحرب العالمية، ومعظم مواضيع هذه الأفلام تدور حول الفاشية، والاستغلال، وإطلاق النار، والخوف والهلع، والحيرة واليأس والانتحار، ومن ناحية أخرى فإن هذا الأمر شائع في عرف الغاليين (سكان بلاد الغال) والألمان وقد كان –هدايت– مطّلعاً بالتأكيد على هذه الطقوس، كما كان على اطلاع على المذاهب والفلسفات الهندية، حيث كان عشاق السكينة أو النيرفانا ينتحرون في احتفالاتهم الدينية.

1-5-عدم المحاولة لتغيير الواقع إطلاقاً

اكتفاؤه بوصف الشذوذ والنواقص، واعتقاده بعدم جدوى أية محاولة لتغيير الواقع كانا من أهم الخواص البارزة للأدب السوداوي؛ فالمحاولة لا تكون من الخارج إطلاقاً ولكنها توصف وحسب.

1-6-صراحة اللغة

يُعتبر هدايت رائداً في استخدام الكلمات والتعابير الركيكة، ويعد هذا، في هذا السياق، دليلاً على الغضب الناجم عن اليأس. تظهر الصراحة في محادثاته ومراسلاته وقد قال في أواخر سنوات عمره: "أنوي أن أجعل الجميع أعدائي". كان يطعن بالجميع ويشتمهم ويقول ما لا يليق وكان يعدّ ذلك الفعل فعلاً مقبولاً. "يمكن آن تُفهم أحوال الناس في منطقة ما من عدد الشتائم ونوعها في كل لغة وكذلك يمكن منها كشف علاقاتهم. إن لم تكن اللغة الفارسية تمتلك شيئاً فهي على الأقل تمتلك الكثير من الشتائم الحادة" (جنتي عطائي، 1374:ص280).

1-7-الاكتئاب

كان هدايت كئيباً، حيث يتضح من مواضيع رسائله التي كان يكتبها أنه أصيب بالاكتئاب على الأرجح منذ بداية شبابه وحتى موته، ولكن لم يُعرف سبب ذلك على وجه الدقة، وقد تمّ اصطحابه مرات عديدة إلى الطبيب النفسي. كانت علامات يأسه ملحوظة قبل محاولة انتحاره الأولى بكثير، فقد كتب في سن الثانية والعشرين إلى الدكتور رضوي في طهران: "إذا أردتَ أن تُرسل بطاقة فلتكن بطاقة سوداء وحزينة ورهيبة، لأني عندها سأحبها أكثر" (جنتي عطايي، 1357:ص25). وكذلك تظهر علائم الاكتئاب في أغلب الرسائل الثمانين التي كتبها إلى الشهيد نورايي منذ شبابه وحتى وفاته. "أغلبنا أجساد تتعفّن" (نفسه: 25).

1-8-البيئة الاجتماعية

كانت حياة هدايت متزامنة مع حكومة عشر السنوات لمظفر الدين شاه، وبعده محمد علي شاه، ومن ثم أحمد شاه ورضا شاه ومحمد رضا شاه، أي إنه طوال مدة حياته القصيرة نسبياً، كان شاهداً على تحولات كبيرة في البلاد، وقد كتب معظم أعماله خلال مدة حكومة رضا شاه وأبيه "في ذلك الوقت كانت الأوضاع الاقتصادية لإيران منذ فترة طويلة قائمة على منتجات القطاع الزراعي والسلع

التقليدية، وبعد ذلك، أي بين عامي 1320- 1325 كانت إيران تحت سيطرة الاستعمار الأجنبي وكانت كل من أمريكا وإنجلترا تديران إيران فعلياً منذ ذلك العام (1320) وكانت حكومة محمد رضا شاه ضعيفة (ونسان،1384: 345)، ويمكن القول بأن حكومة محمد رضا شاه التي دامت أربعة عشر عاماً كانت مليئةً بالتوتر "كانت القوة الرئيسية بأيدي نواب المجلس، وقد تشكلت في الحقبة نفسها القوى السياسية المؤثرة والحركات القومية بقيادة مصدق، والقوى الدينية بقيادة كاشاني، والقوى السياسية بقيادة نواب صفوي، وتأسس حزب الشعب والذي كان يتم دعمه من قبل السوفييت، وكان احتلال إيران في الحقبة الزمنية نفسها، وتمّ اغتيال رزم آرا رئيس وزراء إيران من قبل فدائيي الإسلام في الفترة نفسها" (آخوندزاده، 1349:ص 13). لقد أبدى هدايت نفوراً من كل شيء في هذه الفترة وكان ارتباطه مفككاً مع المجتمع والعائلة في هذه الفترة، إلى حدٍّ وصف فيه البيئة الإيرانية بأنها موطن النتانة أو أنها مثيرة للاشمئزاز، أو مثلا وصف نفسه بأنه العنكبوت الملعون وقد كتب قصته هذه بعد اغتيال زوج أخته، رزم آرا. "صغير العنكبوت الذي لعنته أمه ولم يكن يملك لعاباً ليصنع شبكة، وقد اجتنبته بقية العناكب ولا أحد يعيره اهتماماً، فأصبح مُرغَماً على أن يعيش في الأماكن القذرة مع الذباب المنفي وأن يتغذى على العناكب الأخرى الجافة ويصبح آكلاً للمستضعفين، ونتيجة لانعدام الحيلة أراد أن يصبح صديقاً للصرصار لكنه أيضاً لم يُتح له تلك الفرصة. إنه يقول بنفسه بأنه منذ أن قُتل رزم آرا فإن أحداً لم يعد يُفسح لي حتى مكانَ الكلب.... (وجداني، 1394: 282). وعلى الرغم من أن دوافع ميل المنفلوطي للدالتونية أقل منها لدى هدايت، إلا أنهما يشتركان في بعض المواضيع النفسية والشخصية؛ مثل: صراحة اللغة، والرغبة في الانعزال، ولن يتمّ التطرّق إلى ذلك هنا لئلا يتكرر الموضوع.

2- أسباب نفسية شخصية لدى المنفلوطي

2-1- تأثير الحياة العائلية على نفسية المنفلوطي

كتب حسن الزيات: "من حيث إن النظام التعليمي للأتراك من أصعب الأنظمة التعليمية، فقد فعلت أم المنفلوطي أقصى ما تستطيع لكي يكون ابنها الأصغر متماشياً ومتكافئاً مع إطار هذا النظام التعليمي، لكن الأب كان يكره هذه التربية كثيراً، وكان يقضي ساعات في جدال مع الأم، وقد أدى الاختلاف والانفصال بين الأم والأب ومن ثم زواج الأم من رجل آخر إلى إصابته –المنفلوطي– بأذىً نفسي وإحباط، وقد وصل ذلك إلى حدّ أنه كان يبكي ويأسى لأتفه الأمور" (الجزء الأول: 340-341).

2-2- تأثير الحياة الشخصية

كانت كارثة موت أبناء المنفلوطي الأربعة من بين العوامل المهمة التي أثرت على حياته بشكل بالغ؛ لقد أصابه هذا الموضوع بخيبة كبيرة وأدى إلى تشاؤمه، وكأن موتهم لم يترك له دافعاً ليرى مظاهر الحياة الدنيوية، وصل الأمر إلى درجة أنه لجأ إلى الكائنات الأخرى؛ ففي قصة "الدفين الصغير" يتحدث عن طبيب لم يتمكن من مداواة ابنه ويشكو ويبث شكواه إلى القمر قائلاً:

"أيها القمر! أنت وحيد في سمائك وأنا وحيد في أرضي، كلانا يقطع شوطه صامتاً هادئاً منكسراً حزيناً، لا يلوي على أحد ولا يلوي عليه أحد" (المنفلوطي ج1، 1920:ص54)، وبعد أن تفشل الكائنات الأخرى في تقديم العون له يخيب أمله منها أيضاً فيقول:

"ما أسمج وجه الحياة من بعدك يا بني! وما أقبح صورة هذه الكائنات في نظري" (المنفلوطي ج1، 1920:ص40)، لقد بكى حتى فقدَ بصره ثم جاء موت زوجته ليبقيه ملازماً للبيت.

2-3- تأثير مشاكل الحياة

لقد قادته صعوبات الحياة ومشاكلها من قبيل الفقر والجوع طيلة مدة الحياة والدخول إلى السجن، إلى التشاؤم؛ فكتب عن نفسه قائلاً: "وكنت إنسانًا بائسًا لم يترك الدهر سهمًا من سهامه المريشة لم يرمني به، ولا جرعة من كأس مصائبه ورزاياه لم يجرعني إياها" (المنفلوطي ج2، 1997:ص19).

2-4- البيئة الاجتماعية

"تؤثر البيئة الاجتماعية لكل شخص على رؤيته الفكرية وعقيدته، تأثيراً بالغاً" (اخوندزاده،1349:ص231) ولا يستثنى المنفلوطي من هذه القاعدة فقد تأثر كثيراً ببيئته المضطربة؛ فبعد ولادة المنفلوطي بعامين تمّ عزلُ "إسماعيل باشا" وتولي ابنه "توفيق

باشا" للحكم، وقد كانت مصر طيلة تلك الحقبة في أوج سخطها وغضبها على حاكمها وعلى التدخلات الأجنبية؛ الإنجليزية والفرنسية. لم يكن ما فعله توفيق أقل مما فعله أبوه؛ ففي عصره دخلت مصر في حالة من الفوضى والشغب والاضطرابات، وفساد الدوائر الحكومية والرشوة، كذلك كان نظام العمل القسري والعبودية قائماً. على الرغم من تحسن الأوضاع الاقتصادية في هذه الحقبة إلا أن الشعب كان يعيش حياة فقر وفاقة، وأصابته –الشعبَ المصري– حالة من اليأس والإحباط، وكان تواجد "اللورد كرور" المندوب الإنجليزي، قد أدى إلى انحدار أوضاع البلاد إلى أسوأ ما يمكن. كما اطّلع الناس في هذه الفترة أيضاً على عادات وتقاليد الأجانب وكانوا يقلدونهم في عاداتهم وتصرفاتهم، ومن ذلك: شرب المسكرات، والانغماس في الملاهي وإقامة حفلات الرقص والشراب" (فهمي لهيطة،1930:ص180).

"سُجن المنفلوطي لمدة ستة أشهر بسبب هجائه الخديوي عباس في قصيدة ساخرة، وهذا ما أدى إلى زيادة يأسه وإحباطه من الحكومة، وقد أدت عواطفه ومشاعره المرهفة إلى تقبّله لأكثر الأفكار والمفاهيم السوداوية والتشاؤمية فيما يتعلق بالإنسانية، وتحولت الحياة في نظره إلى موطن للبكاء فكان يلجأ إلى التمسك بخياله للخلاص منها. وقد تسلل التشاؤم إلى حياته بشدةً فأُطلقَ على مدرسته اسم مدرسة المعري" (أكبري مفاخر،1388:صص16–14).

3–العوامل الأدبية:

كان كل من المنفلوطي وهدايت من أتباع المدارس التشاؤمية من قبيل الرومانسية، والوجودية، والرمزية، والسريالية، مع العلم أن الدوافع الجنسية متعلقة بالطبيعية. تُعرِض معظم الكتابات السوداوية عن وصف العالم الخارجي، وتؤكد على بعض الرموز والإشارات، وعلى الاضطراب الذهني، وعلى عدم الانسياق مع الجمهور، وعلى غاية استرسال الخواطر، وعلى سحر الألفاظ، وهذه من الخواص البارزة للرمزية. "كذلك فإن التبصّر بالداخل، وعدم الثقة بالعقل، وأصالة الأحلام، واضطراب الأفكار، والجو الضبابي، هي من خصائص المدرسة الرومانسية. المدرسة التي يترك فيها الكاتب مصيره للرياح، ويلقي على كتفيه رداءً أسودَ، ويجلس تحت ظل صفصافة قرب بناءٍ محطّم ويبدأ بتذكر شخص فاشل في كل علاقاته؛ لو أمسك شخص كهذا بالقلم فإنه دون شك سيُنتج التشاؤم والإحباط والحزن والدموع، فالرومانسية مرضٌ مقابل الكلاسيكية التي تمثّل العافية" (اخوندزاده،1349:ص67). في حين أن هدايت مفكر قومي، ويملك أيضاً إحساساً رومانسياً حادّاً وعنيفاً وهذا ما أصبح شائعاً بين المفكرين منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلى أن جاء في العصر الفهلوي بإيديولوجية جديدة.

يعدُّ التعلق الشديد بإيران القديمة أحد خصائص الرومانسية العامة. كان هدايت يعتقد أن الفقر والفاقة والعسر والتخلف في إيران في العصر القاجاري يعود إلى الثقافة الإسلامية؛ كان قوميو إيران يعدّون شعب بلادهم من الآريين الذين كانوا ذوي حضارة رائعة قبل الإسلام، وقد وصلت البلاد –وفقاً لاعتقادهم– إلى ما هي عليه في أيامهم تلك بسبب غزو العرب، ومن ناحية أخرى فقد أثر تطور البلدان الأوروبية، مثل فرانسا وألمانية، تأثيراً بالغاً على عقول هؤلاء المفكرين. كان هدايت يطلق الشعارات والمثاليات بين حين وآخر تحت تأثير نزعته القومية والرومانسية ويقول ما لا يليق قوله، وهذا أيضاً يعدُّ انعكاساً للنزعة القومية والرومانسية" (رضى،1385: ص93).

4– الخلفية الفكرية

سافر هدايت في مرحلة شبابه إلى أوروبا، وقد أثر هذا السفر في تشكيل أفكاره، وتصرفاته، وأفعاله تأثيراً بالغاً، وقد جعله هذا السفر يدرك أيضاً أن هنالك مسافةً شاسعة بين الحداثة الغربية والأصول التقليدية المحلية الإيرانية؛ لقد كان يرى أن الثقافة المحلية الغارقة في الخرافات والمجتمع التقليدي ينحدران نحو الانهيار من جهة، ومن جهة أخرى لم يكن يستحسن الاضطرابات الناجمة عن الحداثة الغربية والتي ظهرت من خلال الحروب العالمية ومعسكرات الموت، بل كان ينتقدها، وقد كانت هذه الانتقادات من قِبل هدايت تحتدّ وتأخذ طابعاً صارماً في ثقافة تقليدية شعبية لبلد تبلغ فيه الخرافات حدها الأقصى. "كان لاطلاعه على المدارس الفكرية الترددية

الغربية وإدراكه للشرخ العميق بين الحضارة الغربية والتخلف الإيراني، أثراً كبيراً في ميله إلى اليأس والإحباط واللذين كانا يحوزان على أرضيةٍ في عمقه الشخصي أيضاً..." (طه،1356:ص73).

كان أدب هدايت نتاجاً للثورة الدستورية التي عقد عليها المفكرون آمالاً كبيرة في تأسيس مجتمع مثالي وفاضل، ولكن آمالهم باءت بالفشل؛ كان نتاجاً لانقلاب (28 مرداد 1332) الذي لاقى الهزيمة والفشل أيضاً وهذا ما جعل المثقفين كالأفعى التي تلتف على نفسها أو كرواة مهزومين وجعلهم يجدون ملاذهم في الأفيون والكحول؛ كان نتاجَ الصدمة التي سببها التأثير البالغ للكتابات السوداوية أو بشكل عام تأثير التيارات الأدبية الأوروبية على الكاتب.

كان المنفلوطي أيضاً شاهداً على التغيرات والتحولات في مصر، وهذه التحولات التي أعادت مصر وفقاً لرأيه إلى الوراء، فقد كان يرى يومياً ميل الشباب إلى تقليد الحياة الغربية، والذي لم يكن يؤدي فقط إلى انجراف الشباب إلى الفساد بل كان يجرف السياسيين أيضاً. كان يؤمن بأن هذه الثقافة تتسع بكثرة وتصيب أهدافها بين العائلات، ومن هنا فقد كانت إحصائية الطلاق والأطفال المشردين والمتروكين دون رعاية تزداد يوماً بعد يوم، وقد يأس من هذا المجتمع لدرجة أنه كتب: "لم يعد في هذه المدينة إنسان سعيد، يجب أن نبحث عن الإنسان السعيد والجيد والسليم في المدينة الفاضلة" (المنفلوطي:ج1: صص70-69).

٥- الخلفية السياسية

وصل كره المنفلوطي للسياسة والسياسيين إلى حدٍّ كان فيه يستخدم التعريض والسخرية بأقسى أشكالهما فيما يتعلق بهم، فهو يرى أن كل السياسيين منافقون وكاذبون، ومن المستحيل أن يكون هنالك سياسيٌ دون أن يكون كاذباً "أيستطيع الرجل أن يكون سياسياً إلا إذا كان كاذباً في أقواله وأفعاله؟" (المنفلوطي ج43:1). وهدايت كذلك؛ فعندما يتحدث عن السفلة والرعاع فإنه يقصد بهم اللصوص والسفاحين والأشرار والفاجرين والسياسيين، وبعبارة واحدة فإنه لا يقصد العناصر المعادية للمجتمع بل يقصد الجميع باستثنائه. "كنت أمرّ بلا هدفٍ في الأزقّة، أمرُّ دون عناءٍ من بين الأوباش ذوي الأشكال الجشعة والذين يسعون وراء الشهرة والمال، ليس بي حاجة إلى النظر إليهم فواحد منهم يمثل البقية جميعاً، كانوا جميعاً فماً واحداً مربوطاً بحزمة من الأمعاء"... (هدايت،1387:ص76)

تأثير الدالتونية على المجتمع والأدب

"اللون كالكلام، للتعبير عن المزاج" (فيتغنشتاين،1376:ص76). أحياناً يكون اللون الأسود لون العلاج فهو يعيد السكينة للإنسان المضطرب والقلق، وهو يؤدي إلى تقليل الحساسية الأنثوية ويؤدي إلى إحساس الإنسان بطاقة مغناطيسية قوية؛ ولكن المحللين النفسيين يحذّرون من استخدام هذا اللون بكثرة فهم يعتقدون أن يجب أن يُخلط باللون الأبيض ليبطل مفعوله ويزول تأثيره السلبي. إن الدالتونية أو عمى الألوان في القرن العشرين سوداء بحتة؛ إنها تِركة الأجيال التي نهضت من رماد الحرب الطاحنة وقبعت تحت ضغوط عجلات الآلة الثقيلة لتصل إلى الإحساس بالعبثية واللا جدوى من الحياة؛ الأجيال التي كانت تجلس في الحانات في فترة الانحدار وتقدِّم للبشرية فاكهة مُرّةً وسامّة "الأدب الأسود هو نظرة بديلة للأدب الملتزم. إنه بعبارة أخرى هو تغيير نظرة الإنسان المعاصر، عندها لا يكون فن الأديب فريسة للاضطراب فقط بل يصبح الإنسان أسيراً للتغيير، وتصبح نظرة الإنسان المعاصر تشاؤمية لمن حوله. إنها تُنكِرُ كل المحاولات البشرية والتفكير الفاضل والشغف والهيجان، وتؤكد على التفكير في الموت والعزلة والوحدة، فيصبح الجو العام لبنية حياة البشر مظلماً وقاتماً وزائفاً، وتصبح نبرة كلام الناس كئيبةً وحزينةً وتصبح أفكارهم حالمة" (غلبن،1387:ص234). ومن حيث إن الأدب ظاهرة اجتماعية فإنه حينها سيصف العالم الراهن على أنه عالم ينحدر إلى الهاوية والفناء. وهنا فإن المثقفين أيضاً إما أن يتقوقعوا على أنفسهم ويصبحوا رواة مهزومين وإما إن يلوذوا إلى الحرب والمواد المخدرة والكحول، وإما أن يقوموا بنفي كل المثل والحركات من خلال نظرة عبثية وصوفية بنوعها الخامل والضبابي، ويذرفوا الدموع ويطلقوا الآهات والحسرات، فالأبطال الرواة يسيرون بيأس وألم إلى هاوية الجنون.

كان من نتائج تأثير هذه المدرسة أنْ صار المنفلوطي كثير البكاء في كتاباته وكثير الحديث عن المصائب والآلام، أو بعبارة أخرى فإنه كان يبالغ في التعبير عن مشاعره وعواطفه في بعض أعماله، وهذا ما يمكن اعتباره متصنّعاً أو متعمَّداً، ويمكن تسميته

بالضعف والوهن وهو ما أكسب أدب المنفلوطي دلالة سلبية ومن الممكن أن يؤثر في الشباب إلى حدٍّ يقلل من قوتهم وثباتهم وعزيمتهم، ويضعفَ من معنوياتهم وجدّهم ومقاومتهم وشجاعتهم في الحياة. وفقاً لاعتقاد المازني فيما كتبه في ذكرى وفاته:

"يتجلى فن المنفلوطي ورؤيته للحياة في أسلوبه، من هنا فإنهم كانوا يسمون المنفلوطي بالحانوتي لكثرة مبالغته في البكاء والأنين" (جوانرودي،1382:صص14-12). بينما كانت سوداوية هدايت في كتاباته أشدّ منها لدى المنفلوطي ونتيجة لذلك فقد كانت آثاره السلبية أكثر. إنّ عمله الفذ في السوداوية هو رواية "البومة العمياء" والتي هي في الحقيقة بجزأيها، سخطٌ ونقمة وتصفية حساب مع كل ما تعلمه في مرحلة الشباب؛ إنها تصفية حساب مع المجتمع الذي لم يدرك مكانته إطلاقاً، ومن هنا فقد كانت رسالة هجاء. كانت معظم الكلمات سوداوية وقد ألقى الموت بظله على جميع الشخصيات والأشياء، بدءاً من البغيّ إلى الآنية الخزفية. والجثة التي ترافق الرواي، أحياناً تكون جثة لامرأة أثيرية وأحياناً أخرى تكون لبغيّ.

لقد أرخى الموت بظلاله المشؤومة على الحب، ليس فقط في "البومة العمياء" بل في معظم قصص هدايت. كتب في الصفحة الخامسة والعشرين من قصة "لاله": "لو أن لاله –الفتاة الغجرية ذات الاثني عشر عاماً– كانت تقول له –للرجل العجوز–: لا، لن أتزوج بك فأنت عجوز، فإنه لن يكون أمامه حلٌّ آخر سوى الانتحار"، فتأثير هذه الكتابات الباعثة إلى اليأس يتكرر في حياتنا المعاصرة بأكملها، فما هي الحياة؟ لا يعرفون. ما هو الموت؟ يبدو أنهم لا يعرفون هذا أيضاً، هل هنالك هدف من كل هذا؟ هل هنالك أمل؟ لا هدفَ ولا أمل، لا شيء في هذه الدنيا سوى الموت، فظلاله المشؤومة قد ألقيت على رؤوس جميع المخلوقات والبشر. من هنا نجد أن الإنسان مرغم على أن يحمل عبء العزلة والصمت المحرض للخيال على عاتقه وأن يصبح غريباً أبداً عن البقية، وأن يغطي اليأس حياته بأكملها حتى ينتهي به الأمر إلى الانتحار.

النتيجة:

يُطلعنا البحث في حياة كلا الكاتبين، مزامنةً مع الدراسة والتحليل النفسي والاجتماعي والتاريخي أن ميلهما إلى المدرسة الدالتونية كان مشتركاً في معظم الأمور، كالنفور من العائلة والحياة العائلية المضطربة، وعدم المحاولة مطلقاً أو السعي والحراك من أجل إحداث أي تغيير، والبيئة الاجتماعية المضطربة، والجو السياسي المليء بالقمع، واللجوء إلى المدارس التي تدل رموزها وإشاراتها على الاضطراب الذهني وعدم الانسياق مع الجماعة وأن الغاية هي استرسال الخواطر، وكذلك الاطلاع على المدارس الفكرية الترددية وإدراك الشرخ العميق بين الحضارة وبين بلديهما. ولكنهما كانا يختلفان في أمور أخرى؛ فالمنفلوطي؛ على النقيض من هدايت الذي كان يستحسن جماليات الغرب إلى حدٍّ وصف فيه البيئة الإيرانية مقارنةً بتلك البلدان بأنها موطن النتانة أو أنها مثيرة للاشمئزاز؛ كان –المنفلوطي– يحترم الثقافة المصرية ويستحسنها، وكان كثيراً ما يبكي لأن الحضارة الغربية زحفت إلى بلاده وأفنت الكثير من الشباب. ومن جهة أخرى فإن هدايت كان يفكر في الموت وقد شغل الموت ذهنه إلى حدٍّ جعله محبطاً وكئيباً وزاد من رغبته في الانتحار وقد أوصله في النهاية إلى هدفه، في حين أن المنفلوي قد تابع حياته مع تشاؤمه ويأسه اللذين قد وصلا إلى حدٍّ أُطلق على مدرسته اسم مدرسة المعري، وعدّوا أدبه مسؤولَ الدفن والكفن؛ ومع كل هذا فإننا لا نبتعد كثيراً إذا قلنا أن الدالتونية مفيدة، ويكون ذلك حين تقلل الحساسية الأنثوية وتمنح الشخص قوة مغناطيسية، ولكن يجب الانتباه لئلا يُبالَغ في استخدام هذا اللون وذلك أنه يقدم للبشرية فاكهة مرّة وسامّة ويجعل الإنسان تشاؤمياً ويجعل فسحة الحياة سوداويةً ويظللها بظلاله ويصل بالإنسان إلى الإحساس بالعبثية واللا جدوى من الحياة ويسلب الإنسان ثباته وقوته ومتانته.

المصادر والمراجع:

1- أرين بور، يحيى، حياة هدايت وأعماله، طهران، دار النشر زوار، 1380.
2- أكبري مفاخر، مظفر، التشاؤم وانعكاسه في أعمال المنفلوطي، المجلة الشهرية للآداب، العدد 141، 1388.
3- اعتماد زاده، زرادشت الروح المبعثرة للبومة العمياء، طهران، دار النشر: مركز، 1374.
4- أذرينوش، شهناز، الطبيعة المعالِجة (كتاب الألوان)، طهران، دار النشر أمير كبير. 1385.
5- أخوندزاده، فتحعلي، كتابة القصة المعاصرة، جمع باقر مزمن، طهران، دار النشر مركز، 1394.
6- بشرية، حسن، تاريخ الأفكار السياسية في القرن العشرين، الجزء الأول، الأفكار الماركسية، طهران، دار النشر ني، 1390.
7- بشرية، حسن، تاريخ الأفكار السياسية في القرن العشرين، الجزء الثاني، الليبرالية والالتزام، طهران، دار النشر ني، 1389.
8- بهارلوبيان، شهرام وإسماعيل، رسالة في معرفة صادق هدايت، طهران، دار النشر قطرة، 1379.
9- جنتي عطائي، أبوالقاسم، حياة هدايت وأعماله، طبعة حديثة منقّحة، طهران، دار النشر أمير كبير، 1357.
10- جوانرودي، مصطفى، تشاؤم المنفلوطي، مجلة مقتبس، العدد 6، 1382.
11- جوركش، شابور، الحياة والحب والموت عند هدايت، طهران، دار النشر مركز، 1377.
12- رضى، أحمد، وبهرامي، مسعود، خلفية وعوامل يأس هدايت، مجلة البحوث الأدبية العالمية، العدد 120، 1385.
13- الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، ج 2، القاهرة، نهضة مصر. 1999
14- ضيف، شوقي، الأدب العربى المعاصر، ط2، مصر، دارالمعارف،1993
15- طاهباز، حسن، الرسالة التذكارية لهدايت، مجلة رسالة إيران، العدد 639، 1371.
16- غنيمي هلال، محمد، الأدب المقارن، ترجمة سيدمرتضى آية الله الشيرازي، طهران، دار النشر أمير كبير، الطبعة الأولى، 1373
17- غياثي، محمد، تأويل البومة العمياء؛ قصة حياة، طهران، دار النشر نيلوفر، 1377.
18- فرزانه، مصطفى، معرفتي بصادق هدايت، الطبعة الأولى، باريس، دار النشر مركز، 1998.
19- فرخي، رحمان، كتاب المعالجة بالألوان، طهران، دار النشر جشمه، 1378
20- فوزي، ليليان، البحث في المدارس، ت:مسعود جعفري، طهران، دار النشر مركز، الطبعة الأولى، 1375.
21- طه، ندا، الأدب المقارن، ت: هادي نظرية منظم، طهران، دار النشر أمير كبير، 1384
22- لطفى المنفلوطى، مصطفى، النظرات (3ج) والعبرات، الفضيله، الشاعر، ما جدولين، فى سبيل التاج، بيروت، مكتبة الجيل.
23- لطفى منفلوطى، مصطفى، شرح نظرات، اسماعيل اليوسف، بيروت، مكتبة النزار.
24- مقدسي محمد، جيل الشباب الإيراني والبومة العمياء، طهران، دار النشر مركز، 1387.
25- مصطفى لطفي المنفلوطي، كامل محمد محمد، عويضة، الطبعة الثالث، بيروت، دار الفكر.
26- فيتغنشتاين، لوديك، حول الألوان، ت: ليلى رشدي، دار النشر مركز، العدد 356، 1376.
27- وجداني، عبد الحسين، مجموعة اثنا عشر قصة قصيرة للمنفلوطي، طهران، دار النشر أمير كبير، 1384.
28- ونسان، مونتي، صادق هدايت وأعماله وأفكاره، ت:حسن قائميان، طهران، الطبعة الثانية، دار النشر مركز، 1331.
29- ونسان، مونتي، صادق هدايت من الخرافة إلى الحقيقة، ت: فيروز مهاجر، طهران، دار النشر طرح نو(التصميم الجديد)، 1372.